الباب الأول

في ذكر بعض الآيات الحاثة على الصدقة

الباب الأول

في ذكر بعض الآيات الحاثة على الصدقة

لقد حظيت الصدقة والإنفاق في سبيل الله، وما يتعلق بذلك من الإيثار وغيره باهتمام بالغ في كتاب الله، فقد رغَّب في الإنفاق بأساليب مختلفة، وطرق متنوعة، منها:

١- جعل الله ﷻ الإنفاق من أوصاف المتقين والمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة:١-٣].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [آل عمران:١٥] ثم وصفهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ۝١٧ ﴾ [آل عمران:١٦-١٧].

وقال ﷻ واصفًا المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [الأنفال:٣].

وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ ﴾ [فاطر:٢٩].

يخبر ﷻ عباده بصفات المتقين المؤمنين الذين يرجون تجارة لن تبور، فيبين أن من أهم صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاته، وطلباً لجنته التي أعدها لعباده. فهل من مشمر للجنة؟

٢- أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها، وجعل حسنة الإنفاق سبعمائة ضعف، مع قبولها للزيادة على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾ [البقرة:٢٦١].

فالله ﷻ يضاعف لمن يشاء.. يضاعف بلا عدة ولا حساب.. يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي

لا يعرف أحد مداها: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] لا يضيق عطاؤه ولا يكف ولا ينضب. يعلم بالنوايا ويثيب عليها، ولا تخفى عليه خافية.

٣- حث القرآن على أن ينفق المرء من الطيبات ومما يحبُّ، قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢][1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده، وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولهذا قال: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ ﴾ أي: تقصدوا الخبيث: ﴿ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾ أي: لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه؛ فالله أغنى عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما

(١) والبر الجنة في قول ابن مسعود وابن عباس وعطاء ومجاهد وعمرو بن ميمون ومسروق والسدي. [فتح القدير (١/ ٤٦٨)].

تكرهون»[1].

٤- حث الله تعالى على الإنفاق في السر والعلانية، فقال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم:٣١]، وفي هذه الآية إشارة إلى أن إقام الصلاة والإنفاق تخلص المرء من أهوال ذلك اليوم العصيب، وإشارة أخرى إلى الحث على إنفاق المال وألا يتخذ خولاً بين الأخلاء والتجار، بل ينبغي أن يكون للفقير منه نصيب، وذلك هو النافع الباقي للآخرة، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

ومدح الله المنفقين سراً وعلانية، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤].

الذين ينفقون بالسر حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة،

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٧).

وتتحرج النفس من الإعلان. والعلانية حيث تُطلب الأسوة، وتنفذ الشريعة.

وقال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٧١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقوله: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:٢٧١]، فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على ذلك مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية»(١).

وجاء في الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٢).

٥- إخبار الله تبارك وتعالى أنه عالم بكل ما ينفقه الإنسان ابتغاء مرضاته وأنه سيجازي كل عبد على ما أنفق، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٣]

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٠).

(٢) سيأتي تخريجه.

وقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٢]، ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢].. ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٢].

وقد ذكر ابن كثير ﷺ أن المتصدِّق إذا تصدَّق ابتغاء وجه الله، فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب أَبر أو فاجر، أو مستحق أو غيره. وهو مثاب على قصده، وأن مستند هذا: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٢](١).

٦- حض الله تعالى عباده على المبادرة بالإنفاق، والمسارعة إليه قبل الموت، وقبل يوم القيامة؛ فقال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [إبراهيم:٣١]،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٣١).

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ يُذَكِّر الله تبارك وتعالى عبادَه بمصدر هذا الرزق الذي في أيديهم. فهو من عند الله الذي آمنوا به، والذي يأمرهم بالإنفاق. شكراً على النعمة، ورعاية للمصلحة العامة للفقراء.. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المنافقون:١٠] فيترك كل شيء وراءه لغيره، وينظر فلا يجد أنه قدم شيئاً لنفسه، وهذا هو الخسران المبين.

حيث يرجو حينئذٍ ويتمنى أن لو كان قد أمهل ليتصدق وليكون من الصالحين! وأنى له هذا؟ فإنه: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾.

ففي هذه الآيات أبلغ نذير للعبد، أن يسارع في الخيرات، وأن يعلم أن ما أنفقه خير مما أبقاه، وقد قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ

إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، فجعل الله تعالى أول صفات المتقين الذين أعدت لهم جنة عرضها السموات والأرض، وأمروا بالمسارعة إلى مغفرة الله وإلى الجنة؛ جعل أول صفاتهم أنهم ينفقون في السراء والضراء، أي فهم ينفقون في مختلف الأحوال، ولا يثنيهم عن ذلك إقلال أو ضراء أو كلفة، ولذلك كان من أفضل الصدقة جهد المقل، قال ﷺ: «سبق درهم مائة ألف درهم»[1].

ولهذا ينبغي ألا يتحرج المسلم من التصدق والإنفاق ولو بالقليل؛ فإن ما يقوم بالقلب عند الإنفاق من تعظيم الله ورجاء مغفرته وامتثال أمره، والرحمة بالمساكين من خلقه؛ أعظم في الأجر، وقد ذم الله المنافقين الذين عابوا على رجل من الأنصار جاء بصاع من طعام يتصدق به فقالوا: إن الله ورسوله لغنيان عن هذا الصاع. فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

(١) النسائي (٥/ ٥٩)(٢٥٢٧)، وقال الألباني في تحقيقه للنسائي: «حسن».

[التوبة:٧٩][1].

٧- إخباره ﷻ أن الإنفاق لا ينقص المال، بل يبارك فيه، ويخلف الله على المنفق خيراً مما أنفق دنيا وأخرى أو هما معاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ:٣٩].

٨- ضرب الأمثال التي تبين فضل الإنفاق والمنفقين، قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل[2]، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره وينميه»[3].

---

(١) سيأتي تخريج القصة.

(٢) الوابل: المطر الشديد ومنه: «أخذاً وبيلاً» أي: شديداً. والطل: قال في الصحاح: «الطل: أضعف المطر» وقيل: المطر الضعيف المستدق القطر.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٦).

٩- ذم البخل:

ولما كان القرآن قد رغب في الصدقة، وضاعف أجور المتصدقين والمنفقين؛ فإنه ذم البخل والشح، وتوعد البخيل بالعسرى، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ [الليل:٨-١١]، فقرن البخل في الآيات بالاستغناء عن الله والتكذيب بالحسنى، وكلاهما كفر، وفيها إشارة إلى أن لسان حال البخيل تعرب عن الطغيان والاستكبار، بالاستغناء عن الواحد القهار، فهو إذ لم ينفق المال، متقمص لشخصية من قال له قومه: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص:٧٧-٧٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء:٣٧] الآية، فالله ﷻ يبين أن البخيل كاتم لفضل الله جاحد لنعمته، وأن البخل إذا استشرى صار صاحبه يتنغص بإنفاق غيره، فلا يلبث أن يأمره بالبخل.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «وهؤلاء المذكورون في الآية، ضموا إلى ما وقعوا فيه من البخل الذي هو أشر خصال الشر، ما هو أقبح منه، وأدل على سقوط نفس فاعله، وبلوغه في الرذالة إلى غايتها؛ وهو أنهم مع بخلهم بأموالهم، وكتمهم لما أنعم الله عليهم من فضله، يأمرون الناس بالبخل، كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجاً ومضاضة». ثم دعا عليهم رحمه الله موبخاً لهم: «فلا أكثر الله في عباده من أمثالكم، هذه أموالكم قد بخلتم بها لكونكم تظنون انتقاصها بإخراج بعضها في مواضعه؛ فما بالكم بخلتم بأموال غيركم، مع أنه لا يلحقكم بذلك ضرر؟! وهل هذا إلا غاية اللؤم، ونهاية الحمق والرقاعة، وقبح الطباع وسوء الاختيار؟!»[1].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٣٧]، فالبخيل جحود لنعمة الله، ولا تظهر عليه ولا تبين؛ لا في مأكله ولا في ملبسه، ولا في إعطائه وبذله» قال: «ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:٣٧] والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل

(١) فتح القدير (١/ ٦٠٨).

يستر نعمة الله ويكتمها ويجحدها، فهو كافر لنعمة الله عليه»[1].

ومن ذم البخلاء وإيعادهم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران:١٨٠]، فالآية تذكر أن البخيل الذي لا يؤدي زكاة ماله أنه يطوق به يوم القيامة، فيمثل له ماله شجاعاً أقرع يطوق عنقه؛ وقد بين هذا رسول الله ﷺ كما في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شُجَاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه- يعني شدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية»[2].

ولكن قبل ذلك يجب الانتباه إلى أن الحصول على ما سبق من الصفات والأجور مشروط بالإخلاص، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٨).

(٢) البخاري (٢/ ٥٠٨)(٤/ ١٦٦٣)(١٣٣٨)(٤٢٨٩).

ٱللَّهِ ﴾ قال: «هذا مثل خيرية الله لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته»[1].

كما أن الحصول على الأجر المذكور مشروط أيضاً بأن لا يَتْبَع الصدقة منٌّ ولا أذى، بقول ولا فعل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٢-٢٦٤]، فذكر سبحانه أن المن والأذى يبطل الصدقات، أي: يبطل أجرها وثوابها.

قال السيوطي رحمه الله في تفسير المن والأذى: «﴿ ثُم لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا ﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله، ﴿ وَلا أَذًى ﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه»[2]. أي: أن الفقير يستحي من اطّلاع الناس على أنه

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٤).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ٥٥).

قد تُصدق عليه، فإذا فعله المتصدق فقد أتبع صدقته بالأذى.

وقد ضرب الله مثل من يبطل أجر نفقته بالمن والأذى؛ بمن ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأن الرياء محبط للأجر قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة:٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ۝٣٨ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ۝٣٩ ﴾ [النساء:٣٨-٣٩]، فبين سبحانه أن المراآة بالنفقة تحبط الأجر، بل ويستحق صاحبها اللوم والذم؛ لأنه كالمستهين بنظر الله إليه، فلذا عدل إلى طلب رضا الناس بمراآتهم.

* * *

آيات في الإنفاق:

وطلباً للاختصار نسرد بعض الآيات الواردة في كتاب الله العزيز، في الحث على النفقة، وبيان أجر فاعلها:

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد:١٠]، وهي تشير إلى أن المال مال الله، وأن لله ميراثه، وأن المرء إنما هو خليفة على مال مولاه، وهاهو مولاه قد أمره بالإنفاق، فلا ينبغي له أن يتخلف عن تنفيذ الأمر، ويتبع شح نفسه، فإنه من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ [الليل:٥-٧].

وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾ [الإنسان:٨].

وقال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١ ﴾ [الحديد:١١].

فالله تعالى الغني عن عباده المتفضل عليهم الرازق لهم الكافل لهم، الذي لو شاء لأخلى ما بأيديهم من المال، يدعوهم ويندبهم إلى أن يقرضوه، وذلك بالإنفاق في سبيله، وهو غني عن العباد متعالٍ عن الحاجات؛ لكن سماه قرضاً ليبين الجزاء المترتب عليه. وحاجة العبد إلى الحسنات التي تنقذه من الموقف المظلم يوم القيامة أشد من حاجة المقرض اقتضاء ماله وقت حاجته إليه.

❋ ❋ ❋

❋ ❋

❋